عدد 13 (2000) 129- 140

شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية

ملخص

يتناول هذا المقال تطور العلاقات خلال العشرينات والثلاثينات ما بين الوطنيين الجزائريين والأمير شكيب أرسلان، أحد أقطاب القومية العربية خلال هذا القرن. و قد توطدت هذه العلاقات أكثر بعد استقراره بمدينة جنيف السويسرية وإصداره لمجلة الأمة العربية. وقد تساءلنا أثناء تناولنا لهذا الموضوع عن مدى تأثير شكيب أرسلان على زعماء الحركة الوطنية وعن مدى توجيههم عقائديا وسياسيا.

د. أحمد صاري
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة (الجزائر)

كثيرا ما يتردد اسم شكيب أرسلان أثناء مطالعتنا للصحف الصادرة في الجزائر خلال الثلاثينات، كما يتردد في الأرشيف الخاص بالنشاط السياسي والعلاقات مع الخارج. وهو وإن كان لم يزر الجزائر إطلاقا ولم يلتق إلا بشخصيات سياسية قليلة، إلا انه كانت تربطه علاقات وطيدة خاصة مع العاملين في المجالين الثقافي والديني. فقد كانت المراسلات متبادلة ما بين الطرفين. ولم تقتصر علاقات أرسلان على الحركة الوطنية فقط، بل كانت له اتصالات مع الزعماء الوطنيين في كل من تونس والمغرب. وإذا كانت بعض الدراسات قد تناولت بصفة عامة علاقاته بحركات التحرر في المغرب العربي (1)، وأخرى قد سلطت الأضواء على بعض جوانب هذه العلاقات ما بين ش أرسلان والمغرب الأقصى (2)، فإن علاقاته بالحركة الوطنية الجزائرية ومدى تجاوب زعمائها مع تعاليمه وتوجيهاته التي كان يبثها من جنيف طوال الثلاثينات تبقى مطروحة ومحل مناقشة.

Abstract

This article is dealing with the relations that have been taken place with Algerian patriots and Amir Chekib Arslan during the period of 1920's and 1930's. These relations have been strengthened more when Ch. Arslan stayed in Geneva and published the journal of " El-Ouma El-Arabia". In this essay, I have questioned the extend to which this personality has influenced the Algerian patriots.

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2000

والحقيقة أننا كثيرا ما نسمع عن هذه الشخصية، ولكننا هل نعرفها حقيقة ؟ فمن هو ش. أرسلان وكيف بدأ نشاطه السياسي والصحفي ؟ كيف تعرف على أقطار المغرب العربي ؟ ما هي علاقاته بمختلف الأحزاب السياسية والشخصيات الجزائرية، وما مدى تقبل هؤلاء لأفكاره وتعاليمه ؟ هذه مجموعة من الأسئلة نحاول أن نجيب عليها في هذا المقال في إطار ما تسمح به المعلومات والوثائق المتوفرة لحد الآن.

أولا: شكيب أرسلان.

ينتمي شكيب أرسلان إلى أسرة عريقة استوطنت بلدة الشويفات بلبنان منذ زمن بعيد، وبهذه البلدة ولد شكيب يوم 25 ديسمبر سنة 1869. وامتازت الأسرة الأرسلانية أنها أعطت رجالا ذاعت شهرتهم في ميادين عديدة كالأدب والعلم والسياسة. ففي العصر الحديث، على سبيل المثال، كان والده الأمير حمود ارسلان مديرا لناحية الشويفات، واشتهر من بين اخوته ـوكانوا أربعةـ نسيب وعادل. فكان نسيب شاعرا، وتولى مناصب إدارية منها مديرا للمنطقة. وكان عادل شاعرا ومناضلا، شارك في الثورة السورية الكبرى، وتولى بعدها مناصب عالية في الحكم والإدارة منها تعيينه سفيرا لسوريا وتوليه منصب الوزارة. ومع هذا فقد كان شكيب أشهرهم، فقد تنوعت نشاطاته وتعددت اهتماماته، فكان رجل سياسة وأدب وفكر. وقلما اجتمعت كل هذه الصفات في شخص واحد. وهذا يعود بدون شك إلى عاملين أساسيين أولهما انتماؤه إلى أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والإدارة والحرب، حتى قيل عن أمرائها "أمراء سيف وحُكم وحملة عِلْمٍ وعَلَم"، وثانيهما إلى تكوينه الرزين، بحيث يذكر انه بدأ يتعلم مع أخيه نسيب الذي يكبره بسنة، مبادئ القراءة والكتابة منذ سن الخامسة من عمره. ثم خصص لهما أبوهما معلما ليقرئهما القرآن. وبعدها دخلا مدرسة أمريكية بالشويفات فتعلما بها الجغرافية والحساب ومبادئ الإنكليزية. وفي سن العاشرة (1879) دخل ش أرسلان مدرسة **الحكمة** في بيروت، التي أسسها المؤرخ المطران الدبس، أين درس إلى غاية سنة 1886 على أيدي بعض من اشتهروا بغزارة ثقافتهم كالشيخ عبد الله البستاني، كما تعلم بها اللغات الفرنسية والتركية والإنجليزية (3). وفي سنة 1887 دخل مع أخيه نسيب **المدرسة السلطانية** المشهورة في بيروت وأقاما بها سنة كاملة. وشاءت الصدف أن يتلقى الفقه في هذه المدرسة على يد الإمام محمد عبده، الذي كان مبعدا آنذاك عن مصر بعد اتهامه بالمشاركة في الثورة العرابية (4)، فلازمه واستفاد منه. ونظرا لتعلقه بمحمد عبده فقد لحقه سنة 1890 إلى مصر ولازمه مدة شهرين، وخلال إقامته بمصر اطلع على الجو الثقافي هناك والتقى بالعديد من الشخصيات السياسية والفكرية كسعد زغلول والشيخ علي يوسف صاحب جريدة **المؤيد** والأديب احمد زكي باشا (5). وفي سنة 1892 سافر إلى الأستانة والتقى هناك بالمصلح المشهور جمال الدين الأفغاني الذي قال له " أنا أهنئ ارض الإسلام التي انجبتك" (6). ومن خلال اتصالاته بزعماء الإصلاح آنذاك نتصور انه كان ينوي تسلم مشعل الإصلاح من أيديهم ليواصل طريقهم

في إصلاح المجتمع الإسلامي. وكانت هذه الفترة من حياة ش ارسلان فترة تكوين ومعاينة. فمن خلال تنقلاته ما بين الشام ومصر وتركيا وأوربا تكونت لديه فكرة حول الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الخلافة الإسلامية والدول العربية التابعة لها أو المستقلة عنها. وعندها بدأ يناضل من اجل المحافظة على وحدة الخلافة الإسلامية، فلما ألغيت هذه الأخيرة وازداد تعصب الأتراك لطورا نيتهم ابتعد عنهم واصبح من كبار المدافعين عن استقلال العرب ووحدتهم.

وقد تجسدت قناعته الأولى بمشاركته سنة 1911 في الحرب التي كانت دائرة في ليبيا (التي كانت تابعة للعثمانيين) ضد الغزاة الإيطاليين، وبمشاركته في حرب البلقان إلى جانب العثمانيين. كما شارك في الحياة السياسية العثمانية بانتخابه سنة 1913 في مجلس المبعوثان نائبا عن منطقة حوران (الشام). وتجلت هذه القناعة أيضا في دفاعه المستميت عن الخلافة العثمانية ضد بعض زعماء القومية العربية المنادين بالانفصال عن الحكم العثماني (اللامركزية). وهناك من يرجع تطور موقفه من الجامعة الإسلامية إلى الوحدة العربية إلى الثورة الكمالية ذات الصبغة التركية المضادة للعرب، والعلمانية البعيدة عن الجامعة الإسلامية (7). في حين يرجع آخرون ذلك إلى سياسة القمع والتعذيب والشنق التي مارسها جمال باشا حاكم الشام ضد بعض رجال السياسة والفكر العرب خلال الحرب العالمية الأولى (8).

وقد بدا هذا التحول بعد الحرب العالمية الأولى. فعندما اجتمع الزعماء العرب في القاهرة وشكلوا اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـالفلسطيني سنة 1922، قرروا أيضا تأليف وفد عربي يدافع عن سوريا وفلسطين لتحريرهما من الاستعمار، وذلك بالتعريف بقضيتهما أمام الرأي العام العالمي والدفاع عن استقلالهما في عصبة الأمم بجنيف (سويسرا). ولم يجدوا من هو اجدر بهذه المهمة من ش ارسلان، فانتخبوه أمينا عاما للوفد وكان هو آنذاك في برلين. وفعلا فقد سافر إلى جنيف سنة 1925 للقيام بهذه المهمة وليكون سفيرا لهم في الغرب (9). وتجلى تحول ش أرسلان أيضا في إصداره سنة 1930 بجنيف لمجلة باللغة الفرنسية سماها La Nation Arabe (الأمة العربية). وهذا العنوان في حد ذاته يدل على قناعته وإيمانه بقضية العرب ونضالهم. وقد انبرى في هذه المجلة يدافع عن الهموم العربية مشرقا ومغربا، وجعلها منبرا للشعوب العربية التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار للتعريف بقضاياها والدفاع عنها. كما كانت هذه المجلة سندا قويا لهذه الشعوب بما تنشره من نقد لسياسة الدول الاستعمارية ومخططاتها. ومن بين الشعوب العربية التي نالت اهتمام ش ارسلان، شعوب المغرب العربي.

ثانيا: علاقاته بالمغرب العربي.

ترجع علاقات ش. ارسلان بأقطار المغرب العربي إلى ما قبل الحرب الكبرى. وكان أول بلد تعرف عليه هو ليبيا، فقد اشترك سنة 1911 في الحرب التي كانت دائرة

هناك ما بين طرابلس الغرب التابعة آنذاك للعثمانيين وبين الغزاة الإيطاليين. وحسب شهادته فقد جاهد هو والبعض من "أتباعه" لمدة ثمانية اشهر في درنة وبنغازي (10).

وكانت تربطه علاقات مع بعض زعماء الحركة الوطنية في المغرب العربي. فحسب ش.أ. جوليان (Ch. A. Julien) أن ش أرسلان كان في اتصالات، منذ البداية، مع صالح الشريف التونسي* وعبد السلام بنونة (تطوان). وكان يساعده في أعمال "جمعية الشرق" التي أنشأها ببرلين محمد باش حانبة** (11). وتواصلت هذه العلاقات وتوطدت اكثر ما بين ش ارسلان وزعماء الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب، خاصة بعد أن عين أمينا عاما للوفد السوري ـ الفلسطيني واستقر بسويسرا. فيذكر جوليان انه كان في اتصال مع مسئولي الحركة الوطنية التونسية، خاصة مع عبد العزيز الثعالبي* والشاذلي خير الله** والحبيب بورقيبة (12). أما مع المغرب الاقصى فقد كانت له علاقات خاصة، ذلك أن بعض مساعديه كانوا من زعماء الحركة الوطنية. كما انه استطاع آن ينزل بهذا البلد ـ بالمنطقة التي تحتلها أسبانيا ـ ويرد بقوة على "الظهير البربري" الذي أصدرته سلطات الحماية الفرنسية في شهر ماي سنة 1930. إلا آن توطيد هذه العلاقات مع أقطار المغرب العربي والاهتمام اكثر بقضاياه لم يبدأ فعلا إلا منذ الثلاثينات.

ثالثا: شكيب أرسلان والجزائر.

سنقتصر هنا على إبراز صلة ش ارسلان ببعض الشخصيات الجزائرية، مع العلم آن اغلبها ينتمي إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقليل منها ينتمي إلى حزب الشعب الجزائري. وقبل التطرق إلى هذا الموضوع يجدر بنا آن نتعرف أولا على بداية اهتمام ش ارسلان بالجزائر. في حدود معلوماتنا بدأ اهتمام هذا الأخير بالجزائر مع مطلع العشرينات عندما كتب مقالين كتعليق على كتاب **حاضر العالم الإسلامي** (The modern of Islam) لمؤلفه لوثرب ستودارد (Lothrop Stodart) والذي عربه عجاج نويهض (13). ففي المقال الأول الذي يحمل عنوان "الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا" تعرض لحكم الأتراك في الجزائر ثم إلى فساد نظامهم. ثم تطرق إلى استيلاء الفرنسيين على هذه الايالة والثورات التي واجهتهم، والتي كان من أهمها ثورة الأمير عبد القادر. وقد أثني على هذا الأخير في جهاده ضد الفرنسيين وذكّر بإقامته في سوريا وبدور أبناءه وأحفاده في مختلف النشاطات السياسية والعسكرية. وفي مقال آخر تحت عنوان "الجزائر وقبائل البربر" تعرض لسياسة فرنسا في الجزائر ومساعيها لتقسيم سكان هذا البلد. كما ناقش سياسة تجنس الجزائريين المسلمين ومحاولة ضمهم إلى فرنسا. وهو في تحليله يدعم رأيه بالرجوع إلى قوسطاف لوبون (Gustave Lebon) في كتابه **السيكولوجية السياسية**، ليرد على الكتاب الفرنسييناالذين أيدوا السياسة الاستعمارية في هذا المجال. وحتى وان كان ش ارسلان لم يزر الجزائر إطلاقا نظرا لمعارضته الشديدة للسياسة الفرنسية، بحيث انه كان يوصف بالعدو الأول لفرنسا، إلا آن الاتصالات كانت جارية ما بينه وبين بعض الشخصيات الجزائرية عن طريق المراسلة.

رابعا: علاقة شكيب ارسلان بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تعود العلاقات ما بين ش أرسلان وبعض الشخصيات الإصلاحية إلى ما قبل تأسيس جمعية العلماء. فحسب بعض المصادر آن المراسلات كانت متواصلة ما بينه وبين الشيخ الطيب العقبي بعد رجوع هذا الأخير إلى الجزائر (14). وبذلك يكون العقبي أول من كان في اتصال مع ش أرسلان. و تعتقد بعض تقارير الشرطة آن اصل هذه المراسلات يعود إلى تعرفهما على بعضهما بمكة (15).غير أننا نستبعد ذلك، خاصة إذا علمنا آن ش أرسلان لم يزر البقاع المقدسة إلا في سنة 1929 (16)، وان الطيب العقبي كان قد رجع إلى الجزائر قبل ذلك (1920). أما احمد توفيق المدني فهو لا يحدد بالضبط تاريخ علاقته بشكيب أرسلان. ففي كتابه حياة كفاح يرجعها إلى سنة 1923 أيام كان "على رأس الإدارة الدستورية بتونس" (17). وفي مقال آخر يرجعها إلى سنة 1925، حيث يقول:"ولقد كانت الاخوة الصادقة قد ربطت بين قلبينا، والفت بين روحينا، منذ سنة 1925، بعد آن أبعدتني السلطة الاستعمارية الفرنسية عن تونس ..."(18). كما كان ش أرسلان في اتصال مع كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والسعيد الزاهري ومبارك الميلي. وكانت مجلة **الشهاب** تنشر له من حين لآخر مقالات حول قضايا العرب والإسلام.

بداية من سنة 1930، وهو تاريخ استقرار ش أرسلان بمدينة جنيف السويسرية وإصداره لمجلة **الأمة العربية**، وجه اهتماماته اكثر إلى أقطار المغرب. وقد ساعده وجوده بأوربا ومعرفته للغة الفرنسية على تفهم مشاكل هذه البلدان وسهلا له الاتصال بقادة الحركة الوطنية في الأقطار الثلاثة أو الالتقاء بهم، زد على ذلك آن مجلة **الأمة العربية** كانت أداة وصل ما بين الطرفين. فقد كانت هذه المجلة تصل إلى الجزائر، حيث يقول المدني "..وانه ليسعدني ويشرفني أنني كنت من بين العاملين على نشر تلك المجلة الراقية، ودعمها ماديا ..."(19). وهو ما يؤكده محمد قنانش أيضا (20). وهذا لا يعني آن مثل هذه الجرائد والمجلات كانت تدخل بسهولة إلى الجزائر. فقد كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تفرض رقابة صارمة على المنشورات ذات الصبغة الإسلامية والقومية. كما تفرض نفس الرقابة على المراسلات ما بين الجزائر والخارج. وتظهر هذه الرقابة من خلال التقارير الإدارية والمراسلات التي كانت تتابع تطور الرأي العام الجزائري وعلاقته بالخارج. ففي دراسة سرية تحت عنوان **مساهمة لدراسة النشاط السياسي للأمير شكيب أرسلان** (21)، مرسلة إلى الحكومة العامة بالجزائر، يذكر صاحبها آن تأثير هذا الأخير المباشر بدأ يظهر اكثر في الوسط المسلم الجزائري خلال سنة 1935. وتذكر الدراسة بأنه كان في مراسلة متواصلة مع كل من ابن باديس، الطيب العقبي، توفيق المدني والسعيد الزاهري. وبسبب المراقبة المضروبة على المراسلات فغالبا ما كان المعنيون يلتجئون إلى طرق ملتوية أخري لتفادي سقوط رسائلهم بأيدي هذه المصالح. وبهذا الصدد يقول توفيق المدني آن المراسلات ما بينه وبين ش أرسلان كانت تتم عن طريق سيدة في لوزان وصديق في الجزائر (22). وحسب محمد قنانش آن المراسلات ما بين مصالي وش. أرسلان كانت ترسل في غلافين، فتبعث أولا إلى ليون

بفرنسا بعنوان محمد بداك (أحد مناضلي حزب الشعب) وهو بدوره يرسلها إلى جنيف (23).

وبالإضافة إلى هذه الشخصيات الإصلاحية التي ذكرناها، يظهر آن ش أرسلان كان يراسل بعض المصلحين الآخرين. كما أنه كان معجبا بشعر محمد العيد آل خليفة، فقد شبهه بالبهاء زهير (الشاعر المكي 1185-1257) العصر الحديث(24). وإذا كان ش أرسلان يحظى باعتبار كبير لدى المصلحين الجزائريين، فانه لم يسلم من بعض انتقاداتهم، مما أدى أحيانا إلى سوء تفاهم وجمود في العلاقات ما بين الطرفين. فبعد مشاركته في ليبيا في الحرب ضد إيطاليا (1911)، ومقاومته للاستعمار الإيطالي فيما بعد، نجده يتقرب بداية من الثلاثينات من إيطاليا ويسكت حتى عن استعمارها للحبشة سنة 1935. ونتيجة لهذا فترت علاقاته مع بعض المصلحين. فيقول توفيق المدني انه حصل نفور بينه وبين ش أرسلان حول هذه المسألة وقلت الاتصالات عن طريق المراسلة حتى انتهت هذه القضية خلال الحرب العالمية الثانية فعادت المياه إلى مجاريها (25). إلا أن العلماء أيدوا ، فيما بعد، فكرة ش أرسلان في مسألة الوحدة العربية وإمكانية انضمام الدول المُسْتَعْمَرَة أو عدم انضمامها، التي دارت ما بينه وبين سليمان الباروني. فقد تطرق ش. أرسلان إلى هذا الموضوع في المؤتمر الأول للوحدة العربية ببلودان (سوريا) في سبتمبر 1937، واستثنى من هذه الوحدة الدول العربية الواقعة تحت الاستعمار، ومن بينها أقطار شمال إفريقيا. فرد عليه سليمان الباروني بقوة متهما إياه بالتزلف لفرنسا وإيطاليا اللتان كانتا تحتلان هذه المستعمرات، وبتخليه عن المبادئ التي طالما دافع عنها. وقد دافع ابن باديس في مقال تحت عنوان "مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين" (27) عن وجهة نظر ش. أرسلان ورد تهجمات الباروني. كما نوه في نفس الوقت بماضي ش. أرسلان وبيّن آن هذا الأخير كان واقعيا في نظرته نظرا لخبرته وحنكته السياسية. وفي مقال آخر "الوحدة العربية ـهل بين العرب وحدة سياسيةـ" (28) أوضح ابن باديس آن هذه الدول لا تتحكم في نفسها ما دامت خاضعة للاستعمار، فكيف لها آن تشارك الدول المستقلة في وضع سياسة تسير عليها وتتفق على تنفيذها والدفاع عنها.

بعد استعرا ضنا للعلاقات التي كانت قائمة ما بين ش أرسلان والمصلحين الجزائريين، سواء أكان ذلك عن طريق المنشورات التي كانت تصل إلى الجزائر، والتي تعبر عن رأي "أمير البيان العربي"، أم عن طريق المراسلات التي كانت متبادلة ما بينهما، أو حتى عن طريق قنوات أخري، يجدر بنا آن نتساءل عن مدى مساهمة ش أرسلان في التوجه الفكري والسياسي للعلماء، خاصة إذا علمنا آن الأوساط الاستعمارية والمؤيدة لها، وحتى بعض المحايدين، غالبا ما يرجعون نمو الوعي الوطني الجزائري وتطوره إلى مؤثرات خارجية، وبالخصوص إلى نشاط ش أرسلان و"دعايته" باتجاه أقطار المغرب. فيقول جزيف ديبارمي (JOSEPH DESPARMET) في هذا الصدد:" آن فكرة الوحدة العربية قد أدخلت إلى الجزائر عن طريق الجريدة المصرية المنار لصاحبها رشيد رضا والذي كان من بين مساعديه شكيب ارسلان، عدو كل الشعوب المستعمرة ورسول الوحدة العربية."(29). وعقب الغليان الذي شهدته الجزائر خلال السنوات 1933،1934

و1935، وبعد بحث في أسباب الأزمة توصل المحللون إلى علة ذلك، ومن بين هؤلاء دي نوفو (DE NEVEU)، المدير العام للاتحاد الاستعماري الفرنسي، الذي "أكد على الأزمة الاقتصادية، وندد بدور الوفد السوري ـالفلسطيني الذي يسعى رؤساؤه شكيب ارسلان والسوري جابري باي إلى توحيد قيادة السياسة الوطنية الإسلامية العربية"(30). إذا كانت مثل هذه التصريحات لا تخلو من صواب فلا بد من التعامل معها بحذر، ذلك أنها غالبا ما تخفي من ورائها بعض المقاصد، فغرضها إشعار الإدارة الاستعمارية بخطر وصول مثل هذه الأفكار إلى الجزائر، وبالتالي ضرورة مراقبة قنوات الاتصال ما بين الجزائر والخارج، وإذا استدعى الأمر ضرب الحركة التي تسمح لنفسها ببث مثل هذه الدعاية. ولذلك فغالبا ما اتهمت جمعية العلماء بأنها غير متأصلة في الجزائر، وأنها ليست إلا بوق للدعاية الخارجية؛ مرة للمذهب الوهابي، ومرة للجامعة الإسلامية ومرة أخرى للجامعة العربية. ومن جهته يرى جوليان :"آن الفضل في انتشار المبادئ التوحيدية العربية في المغرب يرجع قبل كل شيء إلى نفوذ الأمير شكيب ارسلان ونشاطه" (31). كما يؤكد علي مراد على التأثير الذي تركته مجلة الأمة العربية ومنشطها على الفكر الإصلاحي في الجزائر. فيرى آن هذه المجلة بعنوانها الساحر وبالشهرة الأدبية والسياسية الكبيرة لصاحبها قد أثرت بصفة حاسمة على الفكر السياسي للحركة الإصلاحية (32)، وانه لا يمكن دراسة التوجه الثقافي للمصلحين الجزائريين دون الأخذ بعين الاعتبار فكر الأمير ش أرسلان (33). وإذا كانت علاقات هذا الأخير بالعلماء قد أثرت على توجههم العام، فكيف كانت علاقاته بحزب الشعب ؟

خامسا: شكيب أرسلان وحزب الشعب الجزائري.

مقارنة بالعلماء فإن الاتصالات ما بين ش أرسلان و مصالي الحاج تكون قد بدأت في فترة متأخرة. فتشير إحدى تقارير الشرطة الفرنسية لسنة 1934 آن مصالي يكون قد بدأ بتبادل الرسائل مع ش أرسلان منذ سنة 1932 (34)، وهو ما يؤكده بانون آكلي عندما يقول أن الذي كان واسطة ما بين الأمير شكيب أرسلان وبين النجم الشمال الإفريقي هو السيد محمود سالم باي ،وهو قاضي مصري، وذلك سنة 1932 (35). وقد عمل الأمير على محورين، من جهة إبعاد مصالي عن الحركة الشيوعية التي لازمها منذ تأسيس النجم سنة 1926. ومن جهة أخرى التقريب بينه وبين العلماء، الذين تجمع ما بينهم عدة أهداف مشتركة، ولم يثمر في ذلك إلا في نهاية الثلاثينات. على أية حال آن العلاقات ما بين ش أرسلان ومصالي قد توثقت اكثر أثناء لجوء هذا الأخير إلى جنيف اثر الحكم عليه وعلى رفاقه في ماي 1935. وأثناء تواجده هناك شارك مع وفد من النجم في المؤتمر الإسلامي الأوربي (سبتمبر 1935) الذي نظمه ش أرسلان، والذي كان هدفه توحيد المسلمين في أوربا مع مسلمي الشرق. وحسب محفوظ قداش آن الاتصالات ما بين شكيب أرسلان ومصالي في جنيف قد دعمت المصدر الإيديولوجي العربي ـالإسلامي للوطنية الجزائرية .(36)

وإذا كان ش أرسلان قد عمل على إبعاد مصالي عن الشيوعيين ودفعه لمقاومة مشروع "بلوم فيوليت"، فانه عمل بالمقابل على "تقريب الشقة بين نجم شمال إفريقيا وبين العلماء..."(37). وكان من نتائج مساعي الأمير آن عرفت العلاقات ما بين العلماء وحزب الشعب نوعا من التقارب والتضامن، خاصة بعد فشل مشروع فيوليت وحل نجم شمال إفريقيا (26 جانفي 1937). فيذكر ش. ر. أجرون (Ch. R. AGERON) آن العلماء قد استجابوا سنة 1937 لنداء ش أرسلان. ولذلك عقد اجتماع في باريس يوم 21 فيفري تحت رئاسته وبحضور مصالي، الفضيل الورتلاني، السعيد صالحي والحبيب بورقيبة، وتمت خلاله المصالحة ما بين الطرفين (38). وقد تجسد هذا الوفاق على أرض الواقع بعد توقيف قادة حزب الشعب واضطهاد المنتمين إليه. فتشير إحدى النشريات لشهري اكتوبر ـ نوفمبر الصادرة عن عمالة وهران أن أعضاء جمعية العلماء قد قدموا في مناسبات عديدة مساعدتهم لمناضلي حزب الشعب. ففي وهران مثلا قام أعضاء نادي "جمعية الفلاح" التابع للعلماء بجمع التبرعات لصالح مصالي وزملائه السجناء، وتكون هذه التبرعات قد جلبت مبلغ 2000 فرنك (39). ويظهر آن تأثير ش. أرسلان في الجزائر كان خاصة على مصالي، وهو ما اجمع عليه اغلب من تطرقوا إلى هذا الموضوع مثل جوليان (40) ومحفوظ قداش (41).

وإذا كان ش أرسلان قد اهتم كثيرا بقضايا الشعوب المغربية، فإن ذلك لم يلهيه عن الاهتمام بالقضايا المشرقية. ذلك انه لما سمح له سنة 1937 بزيارة سوريا اختير من طرف المجمع العربي بدمشق رئيسا له، تكريما لمجهوداته في خدمة القضايا العربية والدفاع عن مصالح شعوبها من خلال كتاباته ونشاطاته بمشاركته في مختلف المحافل. إلا انه اضطر للعودة إلى سويسرا عندما تبين له آن الجو السياسي هناك لا يساعده على العمل بعد.

وبحلول الحرب العالمية الثانية تقلصت علاقات ش أرسلان مع الجزائر. فنظرا للقوانين الزجرية التي صدرت في هذه الفترة والتي تقلص من حرية العمل وتفرض رقابة صارمة على حرية التجمع والتنقل. زيادة على تشديد الرقابة في الجزائر وبقية المستعمرات على المراسلات. كل ذلك أدي إلى عرقلة الاتصالات، آن لم نقل انقطاعها، ما بين ش أرسلان والجزائر. ولذلك فحسب دراسة سابقة الذكر (42) فإن الشخص الوحيد (وان لم يتأكد ذلك بالبراهين) الذي يكون قد بقي في اتصال مع ش أرسلان إلى تاريخ جويلية 1940 هو توفيق المدني. وهو ما يذهب إليه أيضا هذا الأخير عندما يقول بان المراسلات ما بينه وبين أرسلان لم تنقطع منذ سنة 1925 حتى عودته إلى سوريا سنة 1946 (43).

وإذا كان ش أرسلان قد انتقد من طرف الزعماء القوميين العرب على وقوفه خلال الحرب العالمية الأولى إلى جانب الأتراك، فإنه اتهم أيضا من طرف بعض الكتاب الغربيين وبعض الوطنيين العرب بتعاونه مع النازية والفاشية خلال الحرب العالمية الثانية. في حين حاول بعض الكتاب العرب تبرير السياسة التي سلكها ش أرسلان، وحتى السكوت عن بعض الفترات من تاريخ حياته. فقد ذكرت جولييت بسيس (JULIETTE

(BESSIS (44) انه لجأ إلى البرازيل أثناء سقوط ألمانيا، في حين حاول سامي الدهان (45)، وهو من ابرز من أرخوا لشكيب أرسلان، السكوت عن ذلك.

على أية حال، بعد آن وضعت الحرب أوزارها وتحصلت كل من سوريا ولبنان على استقلالهما سنة 1946، رجع ش أرسلان يوم 30 اكتوبر إلى بلده لبنان. غير آن المقام لم يدم به كثيرا هناك، إذ توفي بعد أربعين يوما فقط من ذلك، أي يوم 09 ديسمبر 1946، عن عمر يناهز السبعة والسبعين سنة، تاركا وراءه تراثا كبيرا يجمع ما بين الشعر والنثر وكتب التراجم والتاريخ. هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب التي حققها والمئات من المقالات التي ساهم بها في مختلف الجرائد والمجلات العربية والأجنبية.

خاتمة

لقد اصبح من المتعارف عليه آن أية شخصية كانت، فكرية أم سياسية، لا تحصل على الاعتراف والتقدير لما تقدمه من مجهود وخدمة لمجتمعها إلا بعد رحيلها، وربما حتى بعد مرور وقت طويل من ذلك. وهذا ينطبق على ش أرسلان. فقد طعن في شخصه وانتقد في توجهاته، بالرغم من آن بعض التطورات اللاحقة قد بينت صحة نظرته، خاصة خلال الحرب ع الأولى، عندما وقف إلى جانب العثمانيين ضد الإنجليز والفرنسيين. في حين انخدع الكثير من القادة العرب بوقوفهم إلى جانب الحلفاء، وكانت النتيجة تقسيم بلدانهم ما بين هؤلاء.

وقد عمل ش أرسلان فيما بعد على توحيد الشعوب العربية وجمع شملها، خاصة وان قواسم مشتركة عديدة تجمع ما بينها كاللغة والدين والتاريخ...الخ. ويقال انه أول من تكلم عن فكرة الجامعة العربية، التي شاهدها تتجسد قبل وفاته. وفيما يتعلق بحركات التحرر الوطنية، عمل على توحيد مختلف التيارات السياسية، بتقريب وجهات نظرها، مبينا عواقب الانشقاق. كما استنكر التعنت الاستعماري وفضح مخططاته الرامية إلى القضاء على الهوية العربية ـالإسلامية. ولذلك فإن مساهمة ش أرسلان في دعم التوجه العربي ـالإسلامي لحركات التحرر المغربية بصفة عامة، وللحركة الوطنية الجزائرية بصفة خاصة، لا يستهان به. وإذا كان شكيب أرسلان قد قدم كل هذه المساهمة، فماذا قدمنا له نحن في ذكراه الخمسين ؟(46).

الهوامش

1- Juliette Bessis: "Chekib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb", In *Revue Historique*, n°526, avril-juin 1978, pp. 467-489.

2- محمد ابن عزوز حكيم، وثائق سرية حول زيارة الامير شكيب أرسلان للمغرب. أسبابها. أهدافها. نتائجها. مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، تطوان، 1980. 120ص.

3- بعد انتهائنا من هذا المقال تمكنا من الإطلاع على مقال حول نفس الموضوع للدكتور ابوالقاسم سعد الله:"الامير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية" في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرابع، ط.1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996. ص ص. 114-138. ولذلك لم نتمكن من الاستفادة منه أو الإعتماد عليه.

4- سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره. مكتبة الدراسات الأدبية (21)، دار المعارف بمصر، 1960، ص ص 65-67. نقلا عن شكيب أرسلان، روض الشقيق.

5- شكيب ارسلان، تعليق على كتاب حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه لوثرب ستودارد، تعريب عجاج نويهض، ط. 3. الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، 1971، ص. 283. وحول الظروف التي ساقت محمد عبده إلى بيروت ومسيرته بعد ذلك انظر مقالنا "العروة الوثقى. صوت إسلامي في باريس " في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية. منشورات جامعة باتنة. العدد 5، جوان 1996. ص ص 51-69.

6- سامي الدهان، المرجع نفسه، ص 69. نقلا عن ش. ارسلان، روض الشقيق.

7- ش. ارسلان، حاضر العالم الإسلامي، ص .298

8- J. Bessis, Art. cité, p. 472.

9- أحمد توفيق المدني :"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين" في مجلة الثقافة، عدد 76، جويليةـأوت 1976، ص.70

10- سامي الدهان، المرجع نفسه، ص.84

11- حاضر العالم الاسلامي، ص 68.

(*) صالح الشريف التونسي: أشتغل منصب أستاذ بجامع الزيتونة، ثم أستقر بالمشرق بداية من سنة 1907. ومن هناك وجه رسائل عديدة يدعو فيها للوحدة الإسلامية حول خليفة المسلمين. وهو من بين الممضيين على المذكرة التي أرسلت إلى مؤتمر فرساي (1919)، والتي تطالب بحق الجزائريين والتونسيين في تقرير مصيرهم. توفي ببرلين سنة 1920.

(**) محمد باش حانبة(1881-1920): من أصل تركي، ولد بمدينة تونس وتعلم بالمدرسة الصادقية ثم واصل تعليمه بفرنسا. ترك تونس سنة 1913 واستقر بأسطنبول ثم بجنيف (سويسرا) أين أسس مجلة المغرب *Revue du Maghreb* (1916-1918). توفي ببرلين.

12- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير. القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تعريب المنجي سليم وآخرون. الدار التونسية للنشرـالشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1976، ص33.

(*) عبد العزيز الثعالبي (1874-1944): من أصل جزائري، ولد بمدينة تونس وأتم تعليمه بجامع الزيتونة. شارك في "حركة الشباب التونسي" ثم ترأس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920. سافر إلى المشرق سنة 1923 وبقي هناك إلى غاية سنة 1937، ثم عاد إلى تونس التي توفي بها في شهر أكتوبر سنة 1944. من أشهر مؤلفاته تونس الشهيدة (1920).

(**) الشاذلي خير الله (1898–1972): ولد بمدينة تونس وتعلم بالمدرسة الصادقية ثم واصل تعليمه بفرنسا. أهتم منذ شبابه بالصحافة. نفي إلى باريس وهناك شارك في تأسيس حزب نجم شمال إفريقيا. أبعد من فرنسا سنة 1927 فرجع إلى تونس أين أشتغل بالصحافة، وبرز أكثر بإشرافه على جريدة صوت التونسي. أستقل فيما بعد عن جميع الحركات السياسية وأهتم بالتأليف.

13- ش أ جوليان، المرجع نفسه، ص 33.

14- أنظر المقالين في المجلد الأول، الجزء الثاني، المقال الأول ص ص166-174 والثاني صص175-187.

15- Correspondance interceptée par les services de sécurité en Algérie. Archives du Quai d'Orsay, Afrique, Affaires musulmanes. Cité par J. Bessis, art. cité, p. 475.

16- Correspondance du Ministre de l'Intérieur au Gouvernement général de l'Algérie, 27 juillet 1935. A.O.M. (Aix-en-Provence).

17- أنظر سامي الدهان، المرجع السابق، ص ص 90 و 92. وقد ألف أرسلان بهذه المناسبة كتابا اسماه الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، مطبعة المنار، القاهرة، 1931، 284 ص.

18- أ ت المدني، حياة كفاح. مذكرات. الجزء الثاني(1925–1954)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 232.

19- المدني، المقال السابق، ص 74.

20- نفس المرجع والصفحة.

21- محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي 1926–1937. وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص118.

22- Contribution à l'étude de l'activité politique de l'Emir Chekib Arslan. Théatre d'opération de l'Afrique du Nord. Etat-Major. A.O.M. 10H88. p. 21.

23- ت المدني، المقال السابق، ص74.

24- م قنانش و م قداش، المرجع السابق، ص.118

25- Cité par Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Essai d'histoire religieuse et sociale, Ed. Mouton, Paris-Lahaye, 1967, p. 107.

26- أنظر ت المدني، المرجع السابق، ص ص 233-236.

27- سليمان الباروني (1870–1940): ولد بجبل نفوسة بليبيا. شارك في الحرب الليبية الأولى ضد الإيطاليين (1911-1912)، وبعد سيطرة إيطاليا على ليبيا تنقل بين عدة دول إلا أن أستقر بمسقط (عمان). كان منأنصار الجامعة العربية ومواليا للدولة العثمانية. نشط في ميدان الكتابة والصحافة، فترك العديد من الكتب والمقالات.

28- الشهاب، الجزء 10، م. 13، 12 ديسمبر 1937. في آثار عبد الحميد بن باديس، الجزء الخامس، مطبوعات وزارة الشئون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص ص361- 369.

29- الشهاب، الجزء 11. م 13، جانفي 1938، في نفس المرجع، ص ص 370-372.

30- J. Desparmet: "Le panarabisme et l'Algérie". in l'Afrique française, juin 1936, p. 314(a).

31- Cité par Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme algérien. Question nationale et politique algérienne, SNED, Alger, 1981, pp. 370-371.

32- ش أ جوليان، المرجع السابق، ص 32.

33- A. Merad, op. cit., p. 174.

34- Ibid. p. 365.

35- Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974), Le Sycomore, Paris, 1982, p. 110 (note 19).

36- شهادة بانون آكلي في م قنانش و م قداش، المرجع السابق، ص 85.

37- M. Kaddache, op. cit. p. 360.

38- ش أ جوليان، المرجع السابق، ص 34.

39- Charles Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la Guerre de Libération (1954), PUF, Paris, 1979, p. 356.

40- Centre d'Informations et d'Etudes, préfecture d'Oran, A.O.M. 11H61.

41- ش أ جوليان، المرجع السابق، ص 34.

42-M. Kaddache, op. cit., p. 219 (note 3).

43-Contribution à l'étude ...A.O.M. 10H 88, p. 53.

44-J. Bessis, op.cit; p. 489.

45- سامي الدهان، المرجع السابق، ص 97.

46- كتبنا هذا المقال في نهاية سنة 1996 تخليدا للذكرى الخمسين لوفاة الأمير شكيب أرسلان ولكن نظرا لظروف النشر في الجزائر لم نتمكن من نشره الى غاية اليوم. □